وقفة

*عبدالنبي الشعلة abdulnabi.alshoala@albiladpress.com

على أطلال أسوار فيينا المنيعة

في زيارتي الأخيرة إلى فيينا، لم يكن المشهد الذي شدّني هو قصورها الفخمة ولا مقاهيها التاريخية ولا دار الأوبرا الشهيرة، بل أطلال سورها القديم الذي وقف شامخًا في وجه الجيوش العثمانية قبل أكثر من ثلاثة قرون. هذا السور ليس مجرد حجارة متبقية من زمن غابر، بل رمز لمعركة فاصلة شكّلت منعطفًا في تاريخ أوروبا، وألقت بظلالها كذلك على تاريخنا نحن العرب والمسلمين.

لقد حاول العثمانيون اقتحام فيينا مرتين، في 1529 ثم في 1683، وفشلوا في المرتين. وكان فشلهم الأخير بداية أفول إمبراطوريتهم، وبداية صعود أوروبا نحو عصر النهضة والتنوير. لكن السؤال الأهم ليس ما حدث في فيينا، بل ما يكشفه هذا الحدث عن فهمنا للتاريخ، وعن الطريقة التي لا نزال نقرأ بها علاقتنا بالآخر.

هل كانت تلك الحروب "فتوحات إسلامية" كما سُميت في كتب التاريخ العثماني؟ أم كانت مجرد غزوات إمبراطورية لا تختلف عن توسعات الفرس والرومان والإسكندر؟ إذا كانت فتوحات، فلماذا شملت أراضي عربية وإسلامية مثل مصر والشام والعراق والجزيرة العربية، وهي بلاد مسلمة منذ قرون؟ وإذا كانت باسم الإسلام، فما الذي جناه الإسلام منها سوى تراكم الأحقاد والعداوات في ذاكرة الشعوب الأوروبية؟

هذه التساؤلات تقودنا إلى جوهر المسألة: التوسع العسكري باسم الدين لا يبني حضارة، بل يورث خصومات طويلة الأمد، ويشوّه القيم التي يزعم الدفاع عنها، مثل الحروب الصليبية أيضًا. فالإسلام الذي جاء برسالة رحمة وعدل وتسامح، لم يخرج من حصار فيينا أكثر قوة ولا أكثر احترامًا، بل خرج منه محمّلًا بصورة الغازي الطامع في أرض الآخرين. وهكذا تكرست صورة نمطية ما زالت تُستخدم حتى اليوم في بعض الخطابات الغربية لتبرير العداء تجاه المسلمين.

يزيد الأمر تعقيدًا أن الأتراك – حتى الآن – يلقون باللوم على العرب، ويتهمونهم بأنهم سبب انهيار دولتهم من خلال الثورة العربية الكبرى. لكن الحقيقة أن الدولة العثمانية كانت قد بلغت من الوهن ما جعلها تُلقّب بـ "رجل أوروبا المريض"، وأن الثورة العربية لم تكن أكثر من رصاصة رحمة. ما عاناه العرب تحت الحكم العثماني من قمع وتهميش وتخلّف كان كافيًا لتفجير غضبهم، ولا يمكن اختزال سقوط إمبراطورية مترهلة في موقفهم وحدهم.

ولو قلبنا المعادلة وسألنا: ماذا لو نجح حصار فيينا وسقطت أوروبا في قبضة العثمانيين؟ هل كان وجه العالم اليوم سيتغير؟ بعضنا قد يتمنى ذلك، متخيلًا أن الإسلام كان سيغزو أوروبا وينشر قيمه هناك، لكن الواقع يخبرنا عكس ذلك. فالعالم العربي نفسه عاش تحت الحكم العثماني أربعة قرون لم يعرف فيها نهضة حقيقية ولا ازدهارًا علميًا، بل شهد انغلاقًا على الفكر، وتراجعًا في الفنون، وتجفيفًا لمنابع الإبداع. فلو خضعت أوروبا للمنطق ذاته، ربما كانت قد عانت المصير نفسه، بدل أن تنطلق نحو التنوير والعلم والصناعة.

المفارقة أن الإسلام الذي فشل العثمانيون في فرضه على أوروبا بالقوة، عاد إليها بعد قرون من أبواب أخرى أكثر إنسانية: أبواب الاستثمار والهجرة والعمل والعلم. ملايين المسلمين اليوم يعيشون في أوروبا مواطنين متساوين يتمتعون بالحرية والكرامة، ويجدون في هذه البلاد من العدالة والحقوق ما يفتقدونه في أوطانهم. في النمسا وحدها يشكل المسلمون نحو 8 % من السكان، لهم مساجدهم ومراكزهم، أبرزها المركز الإسلامي في فيينا الذي شُيد بالعام 1979 بتمويل من الملك فيصل بن عبدالعزيز، رحمه الله، وافتُتح بحضور رسمي رفيع من رجال الدولة والكنيسة على حد سواء. إن رمزية هذا المركز أكبر من حجمه المادي؛ فهو شاهد على أن الحوار والدبلوماسية تبني ما تعجز عنه الجيوش والحروب.

عندما نقف أمام سور فيينا اليوم، نحن في الحقيقة أمام مرآة تعكس مسار حضارتين: حضارة أغلقت على نفسها أبواب الاجتهاد وحرّمت الفلسفة والفن والموسيقى، فظلت أسيرة الماضي حتى تآكلت من الداخل، وحضارة أخرى واجهت الغزو، ثم انطلقت لتبني بالعلم والمعرفة ما جعلها في موقع القيادة. وهنا يبرز السؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا قبل أن نطرحه على غيرنا: لماذا تقدمت أوروبا وتخلفنا نحن؟

ليس الجواب في الدين، ولا في العقيدة، بل في الطريقة التي تعامل بها كل طرف مع العقل. أوروبا حررت العقل وأطلقت طاقات الفن والفكر والبحث العلمي، أما نحن فقد حاصرنا العقل وحكمنا عليه بالكفر والضلال. أوروبا حولت جراحها إلى دافع للبناء، أما نحن فحولنا انتصاراتنا العسكرية إلى قيد على التفكير الحر.

الدرس الذي يقدمه سور فيينا لا يخص أوروبا وحدها، بل يخصنا نحن أيضًا. إنه يذكّرنا بأن القوة لا تُقاس بعدد الجنود ولا بارتفاع الأسوار، بل بقدرة الأمم على تحويل قيمها إلى واقع، وعلى بناء حضارتها بالعلم والحرية. لقد آن الأوان لأن نراجع أنفسنا بصدق، وأن نقر بأن الحروب التي شُنت باسم الإسلام لم تخدم الإسلام، وأن المستقبل لا يُبنى بالغزو، وإنما بالمعرفة والانفتاح. إن الإسلام في جوهره لا يحتاج إلى سيف كي يثبت حضوره، بل يحتاج إلى عقول مبدعة وأيدٍ تبني وقيم أخلاقية تُترجم في الواقع. وإن أعظم ما يمكن أن نتعلمه من أطلال فيينا أن الحضارات لا تُقاس بما تهدمه من مدن، بل بما تبنيه من قيم إنسانية.

المبارك: تعزيز الشراكات ودعم برامج التحصين الحيواني

ملتقى ومعرض الطب البيطري "1" ينطلق 25 سبتمبر

تنظم وزارة شؤون البلديات والزراعة، ملتقى ومعرض البحرين الأول للطب البيطري في الفترة من 25 إلى 26 سبتمبر 2025، بالتعاون مع شركة "جيكليست" للفعاليات والتجارة والاستشارات.

وفي هذا الصدد، أكّد وزير شؤون البلديات والزراعة وائل المبارك، أن ملتقى ومعرض البحرين الأول للطب البيطري يمثل منصة علمية وثقافية رائدة تجمع نخبة من الأطباء البيطريين والباحثين والخبراء، إلى جانب ممثلي الجهات الرسمية والشركات العاملة في الصناعات البيطرية والإنتاج الحيواني، والمستشفيات والعيادات البيطرية، بالإضافة إلى ممثلي المنظمة العالمية للصحة الحيوانية "WOAH"، إذ يتيح الفرصة لتبادل المعرفة والخبرات من داخل مملكة البحرين ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومختلف دول العالم، إلى جانب الاطلاع على أحدث الممارسات والابتكارات في مجال الطب البيطري.

وأضاف وزير شؤون البلديات والزراعة أنه سيتم في الملتقى تسليط الضوء

وزير شؤون البلديات والزراعة

على آخر المستجدات العلمية والتقنية في مجال الطب البيطري، وتقديم حلول فعالة لمواجهة التحديات الصحية والبيئية بما يعزز الثروة الحيوانية، عبر دعم البحث العلمي وتطوير أدوات الوقاية والتشخيص والعلاج.

وأشار الوزير إلى أن هذا الملتقى يعد فرصة لمواصلة تعزيز الشراكات مع المؤسسات العلمية والبحثية المحلية والدولية، ودعم برامج التحصين الحيواني والوقاية من الأمراض، بما يسهم في ترسيخ مكانة مملكة البحرين كمركز إقليمي رائد في استقطاب الاستثمارات البيطرية والعلمية، ويدعم تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

يذكر أن ملتقى ومعرض البحرين الأول للطب البيطري يمثل منصة شاملة تجمع الخبرات العلمية والمهنية، وتربط بين الجهات الحكومية والخاصة، بما يسهم في إبراز الكفاءات الوطنية والخليجية والدولية في مجال الطب البيطري.

وسيشهد الحدث تنظيم معرض مصاحب يضم نخبة من الشركات والمصانع البيطرية، إلى جانب المستشفيات والعيادات المتخصصة ومراكز الحيوانات الأليفة، التي ستعرض أحدث التقنيات والخدمات والمنتجات؛ ما يفتح آفاقًا واسعة لتشجيع الاستثمار وتعزيز الشراكات في المجال البيطري.

تطوير آفاق التعاون بين البحرين ولبنان

المنامة - وزارة الصحة

استقبلت وزيرة الصحة د. جليلة السيد، في مقر وزارة الصحة، القائم بأعمال سفارة الجمهورية اللبنانية لدى مملكة البحرين ميرنا خولي.

وفي اللقاء، أكدت وزيرة الصحة أهمية العلاقات التي تربط مملكة البحرين والجمهورية اللبنانية الشقيقة، مشيرة إلى الجهود المخلصة للقائم بأعمال سفارة الجمهورية اللبنانية في تعزيز وتطوير آفاق التعاون المشترك، متمنية لها دوام التوفيق في مهامها المقبلة.

من جهتها، أعربت القائم بأعمال سفارة الجمهورية اللبنانية لدى مملكة البحرين عن تقديرها لوزيرة الصحة، مثنية على الدعم والتعاون المثمر الذي حظيت به من جميع المسؤولين والجهات في مملكة البحرين، متمنية للمملكة دوام التقدم والازدهار.

مبادرات نوعية لضمان استدامة جودة الخدمات الصحية

المنامة - وزارة الصحة

أكدت وزيرة الصحة د. جليلة السيد، الحرص على المضي قدما في تنفيذ مزيد من البرامج الصحية وتطوير المنظومة الطبية عبر مختلف المبادرات النوعية، بما يسهم في استدامة تعزيز جودة الخدمات المقدمة بالقطاع الصحي، وترسيخ مكانة مملكة البحرين على المستويين الإقليمي والدولي.

جاء ذلك لدى استقبالها، بحضور الأمين العام للمجلس الأعلى للصحة د. إبراهيم النواخذة، رئيس جمعية البحرين لرعاية مرضى السكلر زكريا الكاظم، وأعضاء مجلس إدارة الجمعية، إذ أشارت وزيرة الصحة إلى الدور المجتمعي الذي تضطلع به الجمعية كونها شريكًا فاعلًا في دعم مختلف الجهود الرامية إلى استدامة تعزيز منظومة الرعاية الصحية لتكون دائمًا وفق أعلى مستويات الكفاءة والجودة التي تلبي التطلعات.

من جانبه، ثمن رئيس جمعية البحرين لرعاية مرضى السكلر، الدعم المستمر من وزارة الصحة وما تبذله من جهود لاستدامة تطوير الخدمات الصحية في مملكة البحرين، مشيدًا بالشراكة والتكامل القائم مع مختلف القطاعات الصحية، ومؤكدًا حرص الجمعية على مواصلة تعزيز التعاون البناء بما يسهم في تحقيق الأهداف المنشودة.